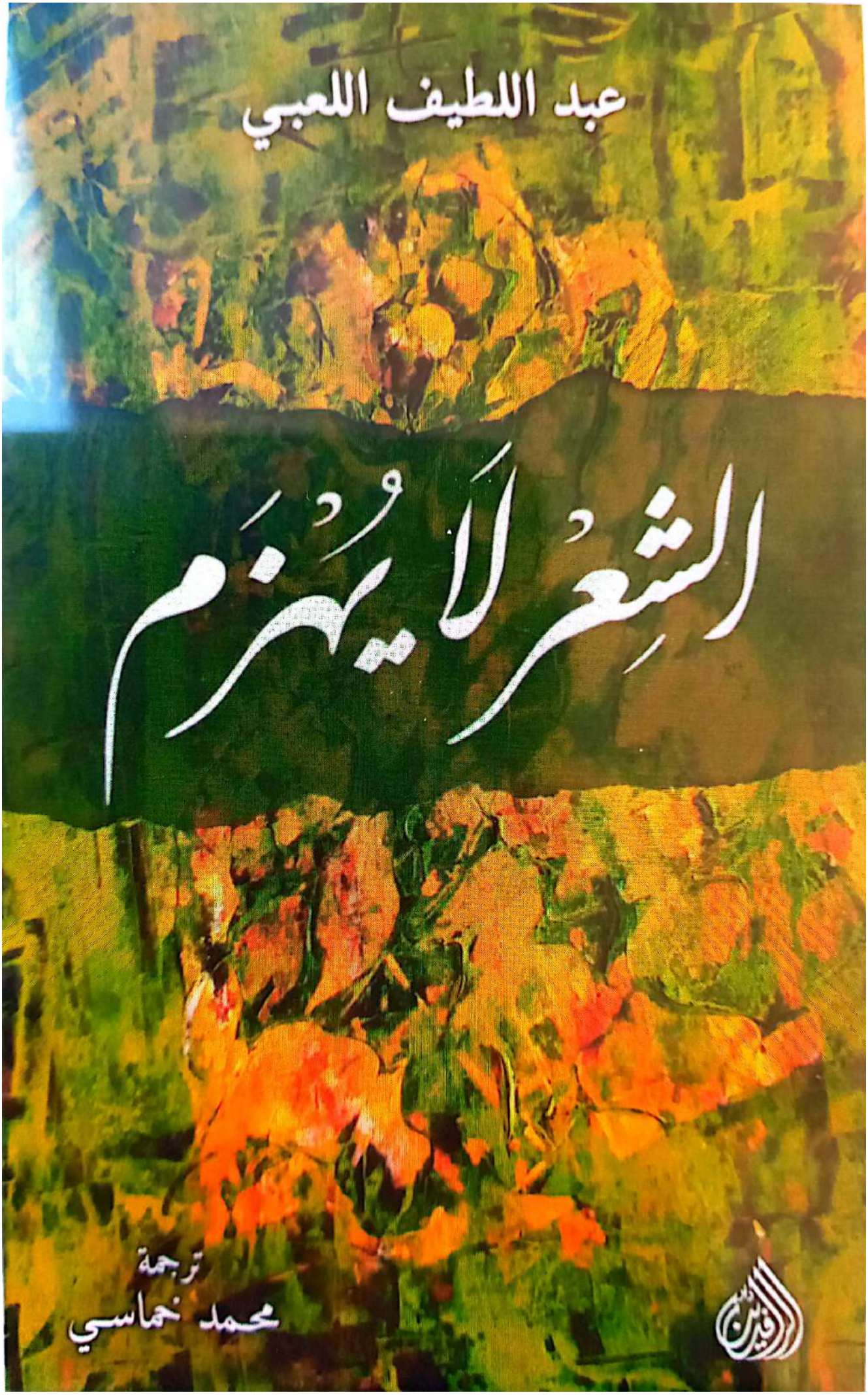


الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الشِّعْرُ لا يُهْزَمْ

عبد اللطيف اللعبي

ترجمة: محمد خماسي

عنوان الكتاب باللغة الفرنسية:

*La Poésie est Invincible*

ترجمة عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية:

*Poetry is Invincible*

*By Abdellatif Laâbi*

الطبعة الأولى: يناير ـ كانون الثاني، 2023 (500 نسخة)

Arabic Translation Copyrights@Dar Al _ Rafidain 2022

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة/ All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافةً نابضةً بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.

بغداد ـ العراق/ شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: +9647811005860/+9647714440520

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين

daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 671 - 60 - 4

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى ذكرى

نور الدين الصايل ومحمد المليحي

Post horizon.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# بلاد الذُّل تُهجَز

## غيثة بنت عمر الرّايس

## (حوالي 1910 ـ 1973)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# انتعاش

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# أيّامٌ إضافِيّة

أيّتها الأيّام الإضافية

شكرًا لِكرم الهواء

لفِظنة الضّوء

لصَحْوِ الأشجار

أُعِدُّكُم بتمهّلٍ

على رؤوس أصابع اليد الأولى

ثُمّ الثانية

تجيئون وتذهبون

دون أن تقولوا

«كان ذلك بالأمس»

أو

«هيّا، إلى الغد»

أيّتها الأيّام الإضافية

شكرًا على الخبز

النَّبيذ

الماء الزلال

الفواكه المَوْسِميّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وموسيقي نهر الحياة

التي لا تَنْضُب

شكرًا لأرْيَحِيَّتِكُمْ

وأنْتُم تسمحون لي

أن أفتح...

أن أفتح ببساطة

عينيَّ

وأقول في نفسي

مع قدر من المكر:

عجبًا

أنا ما زِلْتُ هنا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مَطَر

مَطَرٌ... مَطَرٌ... مَطَرْ!

بهذه الكلمات الثلاث

التي تستهلُّ إحدى قصائده

المكتوبة في البصرة

خلال منتصف القرن الماضي

دوّنَ بدر شاكر السيّاب

اسمهُ في سِجِلّ الخالدين

«مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

مَطَرْ!»

(رجاءً، انطقوا بالراء على الطريقة العربية)

إنْ كنتم على علمٍ بالأمر

لا تُفَكّروا بعد الآن

في طلب الوحي

من ربَّة الشعر

بشأن المطر

فالكلمات قد حُجِزَت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والنّغمة فريدة

ستضطَرّون للاكتفاء

بمشاهدة الرقصة الصّامتة

لتلك الخيوط القزحيّة

التي تصِلُ السماء بالأرض

هامسين:

«مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

مَطَرْ!»

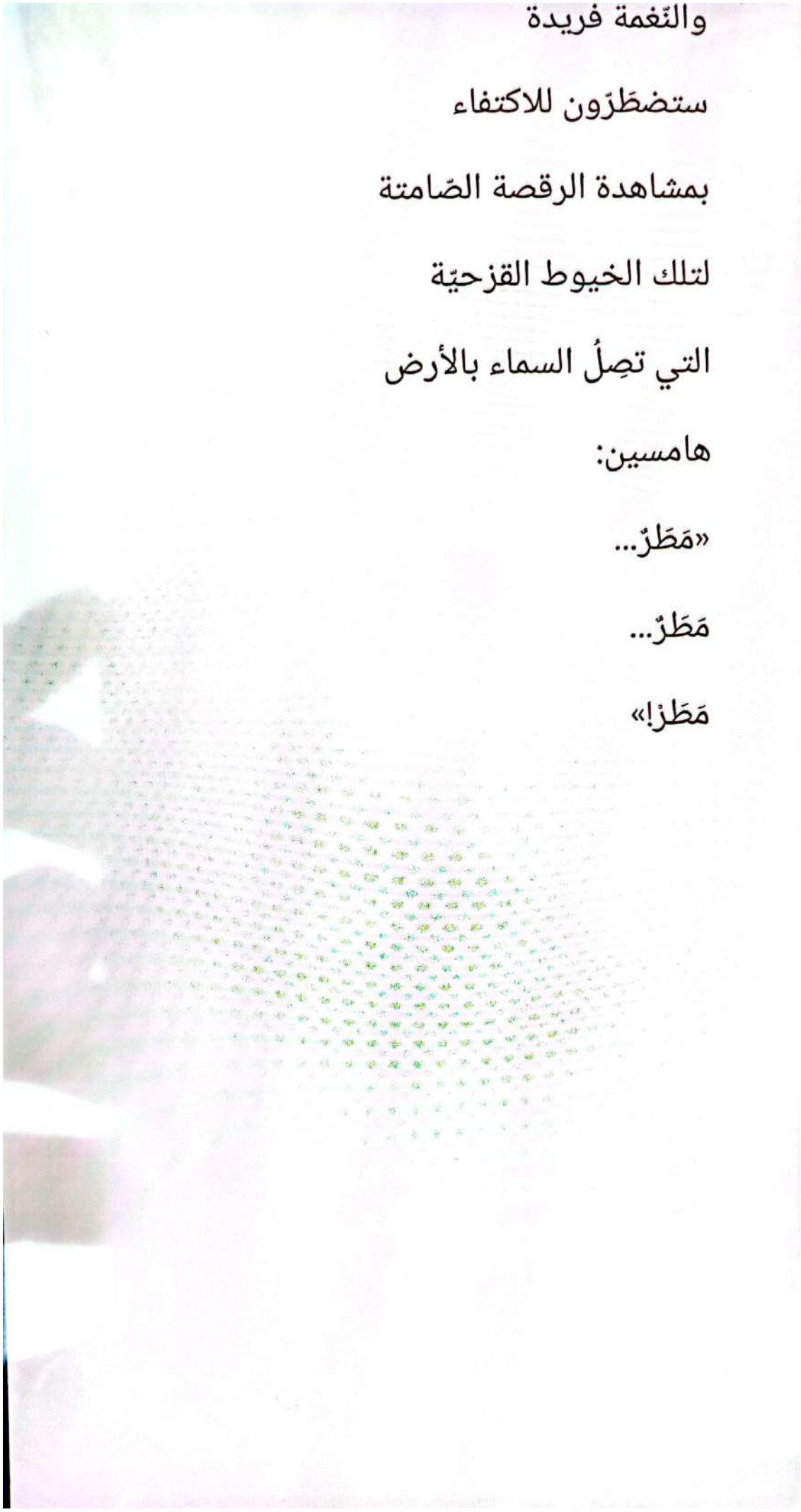

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# وَجْهُ القاتل

## إلى ذكرى صامويل باتي الحارقة(1)

إنَّه فتى

خرج بالكاد من سِنّ المراهقة

وجْهُهُ أصيل

وَسيمٌ إلى حَدٍّ ما

عيناه

لا تَشِيانِ بالكره

أو الحُبّ

بالتعطّش للدَّم

أو الفزع

ما قد يَمُتُّ بِصِلَةٍ

للمَلاك

أو الشيطان

مَهْما بَحَثْنا

لن نجدأدنى عَلامَةٍ

تسمح بأن نستكشف

الوحش

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خلف القناع البشريّ

إنّه فتى

خرج بالكاد من سِنّ المراهقة

له أنفٌ

وفَمٌ

وقضيبٌ

وقلبٌ

ورئتان

ويدان وقَدَمان

له أمٌّ وأبٌ

وإخوة وأخوات

وأصدقاء

يأكل

يتغوّط

ينام

يحلم

عاش طفولته

وفكّرَ أحيانًا في مستقبله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

له ذكريات

ويحمل نُدوبًا

لديه عَرّة في الكلام

وقد حدث أن ضحك

وبكى

وربّما رَقَص

إنّه فتى

خرج بالكاد من سِنّ المراهقة

استقصى

وخطَّط لكل شيء

تسلّح بسكّين جيّد

واستدلّ على ضحيّته

ثُمَّ انقضَّ عليها

وقَطعَ رأسها

هكذا!

للألغاز الأبدية الثلاثة:

الحياة

الموت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحُبّ

التي أعْجَزتْنا

منذ البدايات

ها قد انضاف

لُغزٌ رابع:

كيف لواحد من طينتنا

فتى

خرج بالكاد من سِنّ المراهقة

أن يبلغ به الأمر

حدّ الانقضاض على شبيه له

وقطْعِ رأسه

هكذا!؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# حالة انتظار

إنّه هنا يحوم

أعرِف لُهاثهُ

حَفيفَ خُطاهُ المتثاقل

وشبَحَه

في العتمة المُطلَقة

ورغم ذلك أتصرّفُ

كما لَوأَنّي لا أَشُكُّ في شيء

أُؤَثِّثُ على نحو مشرِّف

انتظاري

أُنْجِزُ حصَّتي

من الأعمال المنزلية

أقرأ بوفرة

أَكْتُبُ

دائمًا وأبدًا

ماذا عساي أن أفعل

أكثر من ذلك

لكي أنسى أن ما يربطني بالحياة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خيطٌ رفيع

ليس إلاّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# رَفيقٌ قديم

نتعلَّق ما استطعنا

بالأملِ

رفيقنا القديم

وهو مثلنا

ليس على أحسن حال

ولو أنّه يُصرّ

على المشيِ

بدون عُكّاز

وإخفاءِ يده

حين ترتعش

وهو مثلنا

مُلْقى في بحر الفظاعات

المنفلت من عقاله

يحاول بصعوبة

أن يُبْقي رأسه خارج الماء

ألّا يَغيبَ عن ناظره الأُفُقُ

أن يَرْقُبَ الطائر الرّسول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشراع المُنْقِذ

ومثلنا

يتشبَّث

بالأيادي الممدودة النادرة

ويستسلم

لموسيقى

البَيْداء المُلهَمة

للعصافير

التي تُسْعِدُ الأشجار

للقلب العاري

الذي يداعبه جناح الحبّ

لذلك

ومهما حصل

سنبقى أوفياء له

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لي صديقٌ في السِّجن

لي صديق في السَجن

أفكِّر فيه كلّ يوم

وأتيهُ غالبًا...

في أفكاره

هل هو بالفعل في المساء

من يتمدّد على فراش القش

بعد إطفاء الأضواء

أمْ أنا؟

مَنْ مِنّا نحن الاثنين

يتجَرْجَر

مُنْهَكًا

في ساحة الفسحة

يأكل لقمته بدون شهية

يحبس دموعه

وهو يكتب رسائل

إلى حبيبته؟

صديقي حُكِم عليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بتهمة «الرِّدّة»:

كِتابٌ لم يكن فيه حذِرًا

وكأيّ شاعر يحترم نفسه

لم يُعِر اهتمامًا للرَّقابة

ولا للرَّقابة الذاتية

كلامٌ متحرر حَوْل الدّين

قاله داخل مقهى

ونَقَلَهُ

زبونٌ مُهْتَمٌّ ومُصْغٍ جِدًّا جِدًّا

صديقي قضى الآن سبع سنوات

في السجن

وعليه أن يقضي سنة أخرى

أصعبها حسب تجربتي

وقد كان حكمه مشفوعًا

بثمانمائة جلدة

تَلَقى منها أكثر من ثُلُثَيْن

وعليه أن يتَلَقى الباقي

قبل إطلاق سراحه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صديقي

ليس دائمًا بمزاج رائق

لقد تجاوز طَوْر الغضب الأسود

ثم الخامد

لأنه لم يعد يدري

في أي عالم يعيش

ويشعر أنه منفي

في كنف الإنسانية

في قبضة القبح

الذي يخنق أنفاسه

كيف يمكنه أن يواصل

مداعبة الجمال

ولو كفكرة؟

عُزْلَتُهُ أكثَرُ استبدادًا

من عزلة

الصحراء المُترامِيةِ الأطراف

المُحيطَة به

لي صديق في السّجن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفكّر فيه

اليوم

كباقي الأيام

معلومات مفيدة:

اللقب: فيّاض

الاسم: أشرف

تاريخ ومكان الولادة: 1980 في غزة

الجنسية: بدون

الوضعية: لاجئ فلسطيني بالعربية السعودية

مكان الاعتقال: سجن بِاسْمٍ يصعب نطقه، قرب مدينة جدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# ماذا سَيَفْضُل؟

مهما ادّعينا

فالخِناق يضيق

على كل ما نعزّ

سَتَزِفُ اللحظة

حيث سيكون علينا أن نختار

من بين أحلامنا

تلك التي سيكون لها بعض الحظّ

لأن تنجو

حيث يجب أن نرمي

بأغلب كُتُبِنا

لأنها ستكون قد كفَّتْ

عن مُخاطبتِنا

وحيث شُغلة الأفكار الكبرى

التي أحرقتنا

من الدّاخل

والخارج

ستخبو رويدًا رويدًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغرامياتُنا؟

آه منها!

من أيّ جُنون لذيذ

سَتُجَرَّد؟

بأي كلمات مُنيرة

من اللغة

ستستطيع

أن تتواصل؟

مِمّا كنّا عليه

وما أَرَدْنا أن نكون

وما أصبحْنا عليه

ماذا سَيَفْصُل؟

ممّا أعْطَيْنا

وما أخذْنا

وما احتَفيْنا به

وما بَكَيْناه

ماذا سَيَفْصُل؟

ممّا حارَبْناه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممّا غَنِمْناهُ

ممّا نَشرْناه

وممّا نقَلْناه

ماذا سَيَفْضُل؟

سَيَفْضُلُ لنا

ما يَفْضُلُ من الشجرة

حين تفقد أزهارها

فواكِهَها

وأوراقها

ورغم افتقارها

تبقى شامخة

في السماء

مثل نُصْبٍ

حَيّ!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# اللّيل يَستَنزِفُني

اللّيل يستنزفُني

لا يُسدي لي نُصحًا

ولا يواسيني

الليل لا يحنو عليَّ

يتلاعب بهواجسي

وبِعاهاتي

الليل لم يعد يخفي عَداءه

لي

أيُّ أذى ألحَقْتُهُ به

حتّى أُعامَلَ بهذه الصلافة؟

صحيح

أنّي أفضِّلُ النّهار

آنَ الفجر والغسق

أضواءه وظِلاله

تَخَلُّقَ الألوان فيه

قِطَعان سُحُبِهِ التي بلا راعٍ

قهوة صباحه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تُصاحب بسمة المعشوقة

ووقت... أوقات

الكتابة

في ما مضى

كنتُ أعشق الليل أيضًا

في المكان الذي كنتُ فيه

كان يفوح مِسكًا وياسمينًا

والسماء كانت بكامل نُجومِها

ولِسَذاجَتي

كنت أنام نومًا عميقًا

مُتجاهلًا متاعب العالم

وفظاعات الوحش البشريّ

آه يا ليلَ الإنسان المتأخِّرِ

رجاءً

كُن رحيمًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# قرابين

فَلْيَأْتِ زمن

القرابين غير المتوقعة

التي تَشُذُّ عن المُتداوَل

وتكون بلا سبب «مقبول»

سوى الاندفاع الذي لا يقاوَم

الذكرى الجيّاشة

الفكرة التي تَعْبُرُها

النعومة

الفعلُ

في اللحظة الملائمة أو لا

(لا يهمّ)

والصمتُ المفهوم

الذي يصاحبه

القربان

ليس للإثبات

أو الاجتياح

فقط قبس في الخاطر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينبعث من رماد

حماساتنا

المنسحقة تحت فولاذِ

ما لا يُحْصى من طيّات

التنْميط

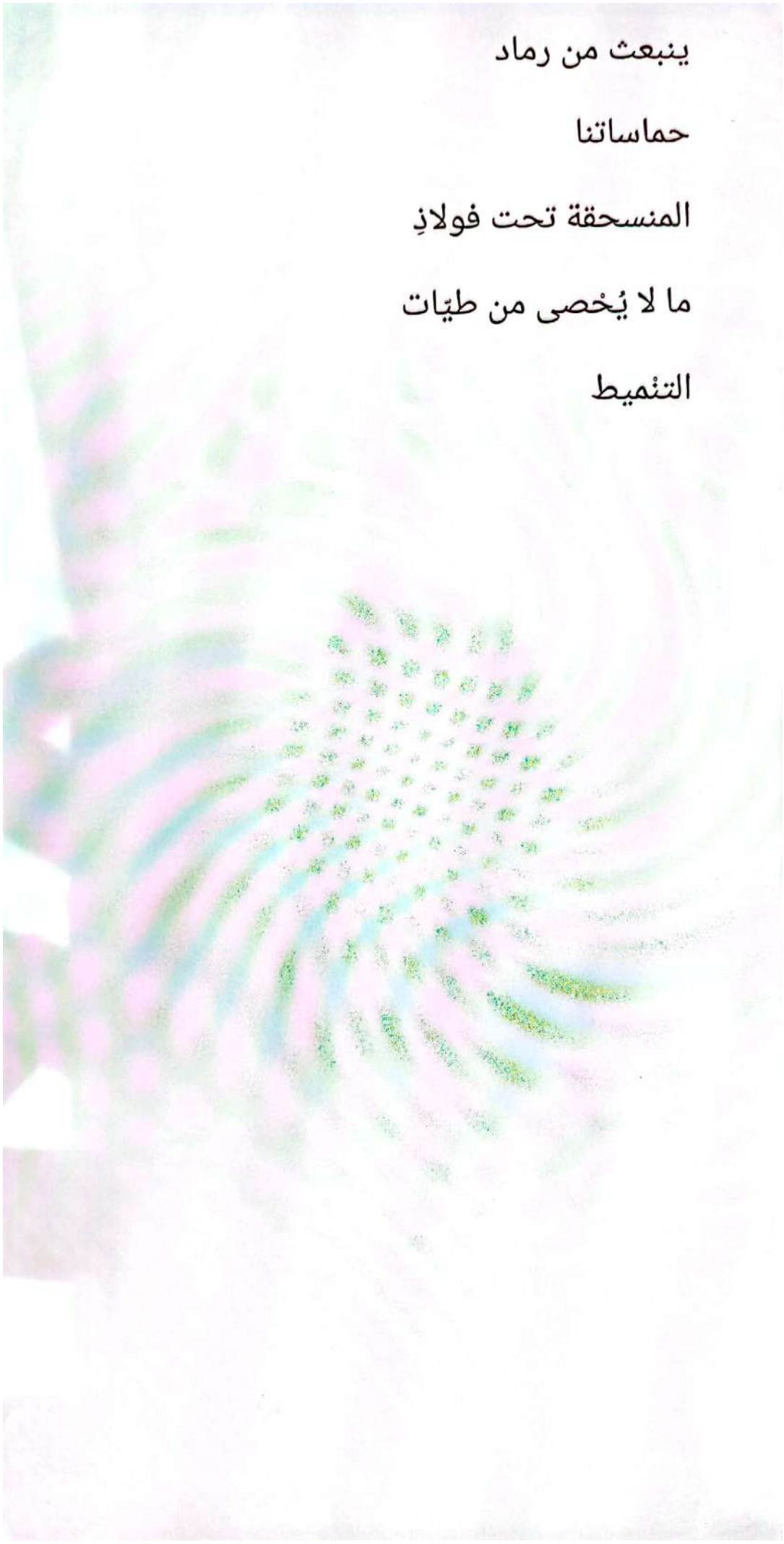

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# عَوَز

ما يُعْوِزُنا

لا حصر له

أَلَيْس كذلك؟

لكنّا هنا في قصيدة

فَعَلَيْنا أن نُمَيِّز

ونُقْصي

ونَنْتقي

ثلاثةُ أمور أو أربعة

تفرض في البدء نفسها

وهي عاديةٌ جِدًّا

يا للغرابة

لكنّنا اليوم

في أمسّ الحاجة إليها

أكثر من أيّ وقت مضى:

الحُبّ والعدل والسّلام

وماذا أيضًا؟

أَمْرٌ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

له أهمية قُصوى بالنسبة إليّ:

أن نَتَلَقّى من مَجرَّة بعيدة

إشاراتٍ

لا غُبارَ عليها

تُطَمْئِنُنا

بأنّنا لسنا

وحيدِين

في الكون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مَنْفِيّون عن أنفسنا

لم نَعُدْ نُفكّر

(ما يُسمَّى التفكير)

إلّا على نحوٍ متقطِّع

لم نَعُدْ نشعر بأنّنا

أحياء

(أحياء حقًا)

إلّا في فترات مُتباعِدة

لم نَعُدْ

نتأثَّر

(لِحَدِّ الارتباك)

كَشُهود

ولكن فقط

بما يُبَثُّ لنا على الشاشات

نؤثِّثُ كَيْفَما اتّفق

الوَقْتَ

وأرواحَنا الجوفاءَ

نحن منفيّون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن أنفسنا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الحرّية كانت تَغني

لنتذكّر الحرّية

عندما كان لها المعنى نفسُه

لدى الجميع

أنّى كُنّا

ولمجرّد ذِكْرِها

يشتدُّ وَجيبُ قلوبنا

وتنفتح عيوننا

عن آخرها

كعينَيْ طفل

يرى هديّة غير متوقعة

الحرّية كانت تعني

أن نطلب المستحيل

ونمدّ أيدينا بكلّ ثقة

لقَطْفِه

أن نحفظ أكثر الكلمات تَرَدُّدًا

في عشرين لغة على الأقلّ

أن نقدِّم الدّليل تِلْوَ الآخر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على أنْ «لا شيء ممّا هو إنسانيّ

غريبٌ عنّا»

لنتذكّر الحرّية

عندما كانت تجعلنا نُشِعّ

بالشباب الخالد

الكامِن فينا

عندما كانت توحي إلينا

بالشغف الكبير

الذي كان سيقذف بنا

في وطيس كلّ المعارك

عندما كانت تصيبُنا

بصاعقة الحبّ

التي كانت سَتقلب حيواتنا

رأسًا على عقب

الحرية كانت تعني

شيئًا واحدًا

حقيقيًّا مِثْلَ

الأرض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي نمشي عليها

والسماء

التي ترتفع فوق رؤوسنا

حقيقيًّا

مثل الدم

الذي يجري في عروقنا

الحرية

كانت هويتنا

التي لا جدال فيها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مَطبَخ أدبيّ

لَمْ أعُدْ أكتب نصوصي باليد

بَلْ «أُرَقِّنُها»

ومعجم لو بوتي روبير

كما هو دَأْبُهُ

يُحَذِّرُني

أنّي حين «أُرَقِّنُها»

أَتَجاوَز ذاتي

الواقع أنّي

أعْتَرِضُ هذه النصوص

أُمْسِكُ بِها

أَلْتَقِفُها

آسَرُها

أحْبِسُها

أُفاجِئُها

أُطَوِّقُها

أُتَبَيَّنُها

أفْهَمُها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أثيرُ مشاعرها

أداعِبها

أقبِّلُها

أحَبِّلُها

وأجني ثِمار أحشائها

شكرًا إذن

لمعجم لوبوتي روبير

ثُمَّ

لِيَحْيا التقدُّم!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لُغَتان

لديّ لُغتان

في إحداهما

أكتبُ بِحِبْرٍ عاديّ

وفي الثانيّة

أَكْتُبُ

بين السطور

بِحِبْرٍلامَرْئيّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# هو نَوْعًا ما مِلَّتي

ليس بِالْيَدِ حيلة

كثيرًا ما حاولت أن «أطْرُدَ» الشِّعْرَ

لكنهه سرعان ما يعود

أجلْ، هو «طَبْعي»

لغتي الأولى

فنّي الأصيل

مَجْدي وهَلاكي

هو نوعًا ما

مِلَّتي

مِلَّةٌ تُعْنى بالشّك

بَدَلَ الإيمان

بالعِضْيان

بَدَلَ الموالاة

تتقصّى ويْلات الجحيم

أكثر من آلاء النّعيم

أُدْخُلْ، أُدْخُلْ

أيّها الشِّعْرا

بيتي

مفتوحٌ لك على الدّوام

تصَرَّف كأَنَّكَ في بيتك

وإن احْتَجْتَ

أدنى شيء

لا تتردّد في الطلب

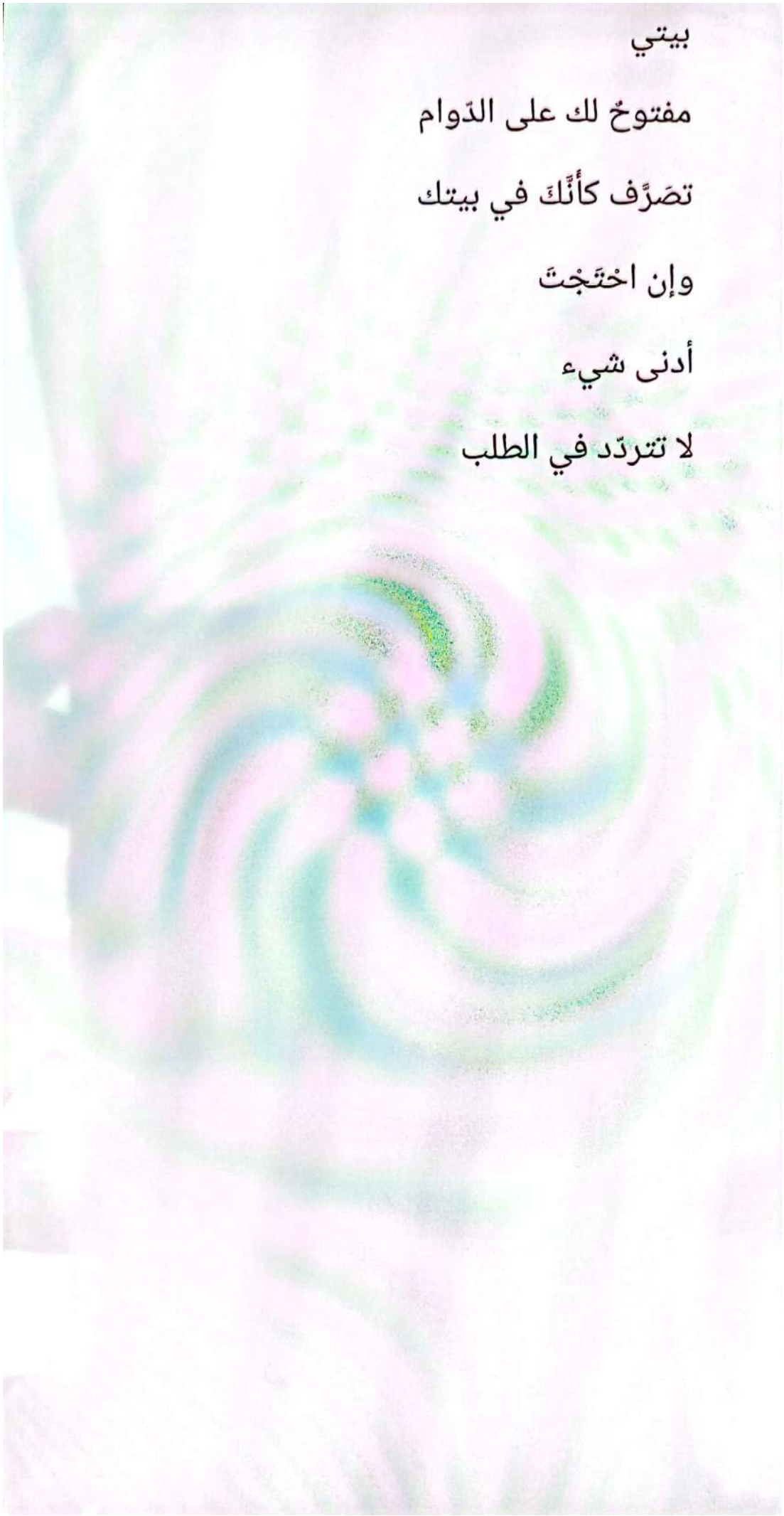

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# أغيرَة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# قَبل أن يُنطَقَ به

سيَعلُو الكلامُ شَأنًا

لو وُزِنَ

بميزان الذّهب

بين الطفولة والكهولة

كان الشباب

شبابي أنا

قصيرًا قِصَرًا غير طبيعيّ

أدركتُ ذلك

متأخِّرًا جدًّا!

الطفل الّذي كُنتُهُ

ما زال يَدُلُّني على الطريق

ويَعِظُني:

حذار من السقوط

في دَيْدَنِ الشيخوخة!

هذه السُّحب التي تَرى:

أهِيَ أفكار مَجازيّة

للسماء؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيُّ عصفور

يحُطُّ

عَلى أيِّ فَنَنٍ

تُحْفةٌ فنّيّة

بالكامل

أُبْصِمُ على ذلك بالعشرة!

أَعْشَقُ هذه الخطيئة:

أَنْ أقطف فاكِهةً

أَيْنَعَتْ لِلتَّوِّ

من الشجرة مباشرة

في بستان ليس لي

الصّمت يمنح نفسه

بأرْيَحِية

لقراءتي

لديَّ موهبةُ بستانيٍّ

على ما يبدو

لكنّي لا أملك وَلَوْ

مِتْرَيْنِ مُربَّعين من الأرض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لِمُزاولة هذه المهارة

ظَهَرَت الأحلام فجأة

في نُهُري

وتَختَلُّ ذاكرتي

قد يكون مُنْصِفًا لَوْ استَطَعْتُ

أن أَصُبَّ فيها

شيئًا مِمّا أعيشُهُ

في يقظتي

الإنسان

طارئٌ ليس إلّا

ضمن صيرورة الحياة

على الأرض

مريضٌ

بما يَجْهَل

مريضٌ

بما يعْرِف

ماذا يملك؟

ماذا يُتقن؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القليل

القليل جدًّا

لكن ما يكفي

لينفخ في الهباء

ويترعرع فيه

مثل سمكة في الماء

أَشْباهُنا

مَنْ هُمْ؟

أَيْنَ هُمْ؟

ما شَكْلُهُمْ؟

كَأَنَّ من لا يشبهوننا

من يسمون همجًا

غَدوْا أليفين لدينا أكثر

الأيام

تدوس على جسدي

أشعر بثقلها السّاحق

بنُتوءاتِها وتجاويفها

ببُطئها وسرعتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتلقّى منها يومِيًّا

الجرح الصغير المعلوم

لا بأس!

لقد مَرَرْتُ بما هو أفظع

بعد سنوات الرصاص بكثير

عرفتُ عام الحَجْر

تمامًا مثلما

عشتُ سابقًا

في مسقط رأسي

عام الجوع

وسمعتُ

بعام الفيل

يتملّكني فضول كبير

لأعرف

هل السنة التي سأرحل فيها

ستكون مميّزة كفايةً

لِتُنْعَتَ بِاسْمٍ

وأيّ اسم؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموت

المعترك المفضل للنرجسية

للثماني سنوات وبضعة أشهر

التي قضيتها في السجن

يجب إضافة

سنة تاسعة

هي التي توجد قيد الانصرام

والتي أكون قد قضيتها

«عن طواعية»!

أكثر من

أيّ أرض أخرى

أحِنّ بشدّة إلى الأندلس

وأنا أقول هذا

أكون قد خُنتُ

أيَّ وَطَن؟

المؤلّفون

لا يَنفَكّونَ يُحيلون على ما

كتبوهُ من قبل

البارِعون منهم

هم أولئك الذين يحرصون

على ألّا يُفْطَنَ لأمرهم

السؤال الوحيد

الذي سيلاحقني باستمرار

هو الآتي:

أين كان النَّصّ

هذا النّصّ

أو أحد النصوص السابقة

قبل أن يَنْكَتِب؟

أَثَمَّةَ مَمَرٌّ سِرّي

بين الدماغ واليد؟

ماذا يجري ويدور

بين الريح والأغصان؟

من يعطي المداعبات

ومن يأخذها؟

العيون لا تَني تَبْتَكِر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طَلٌّ، مطر

نُدَفُ ثلج

التمتّع بامتياز الأشجار هذا

الانْدِفان

طواعيةً

في الضوء

والرأس مُيَمِّمٌ

صوب مركز الأرض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# نيازك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# ضنك

خلف الرداء الصارم

للسّحُبِ

أما زالث ثمّة سماء؟

ما السبيل إلى الخروج

من الجسد

والعيش من دونه؟

ما السبيل إلى الهروب

من سجن الكَوْن؟

لا عصافير

على أشجاري

ولا ذرّة انشراح

في قصيدتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لم أُعُد أُمزَح

لم أعد أُمْزَحُ

يا للأسف! سيقول الأوفياء

آن الأوان لتغيير الأجواء

فليذهبوا!

أنا لا أهابُ العزلة

وهَيَّأتُ نفسي للنسيان

لا أريد أن أكْتُمَ أيّ شيء

ممّا يضلِّل

يَهُزّ

يُغيظ

يُمْعِنُ في الإلحاح

يَنْكَأُ الجراح

ويطرق باب اليأس

يَحِقُ لي ذلك

واللجوء إليه مشروع

أنظُروا بأيّ يُسرٍ

أذرعُ الظلمات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبأيّ ثقة أتَوَجَّه في المتاهة

الدَّعوة مفتوحة

مرحبًا بالعقول الثاقبة

وأولي العزم

والمغامرين

بلا زاد ولا بوصَلة

ودراويش

أحياء الصفيح ومخيمات اللّاجئين

وكافَّةِ المتمرِّدين

الذين لم يُغيّروا جلدهم

آه! كم هو مُريح

أن نُغيّرَ

لا، لا

ليس الموقف

بَل

العبء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# ما يَجْمَعُنا؟

ما الذي ما زال يجمعنا؟

أجد صعوبة في تحديده

ممّا يُزْعِبني

في ما قبل، لم تكن تُغوِزُني الحُجج

كان النَّبعُ لا ينضُب

ويفيض غِنائيَّةً

أما الآن

فهو عَبوس

ولا ينبس بِبِنْتِ شَفَة

ما الذي ما زال يجمعنا؟

مُزْعبٌ أن نضطرَّ للبحث

كما لو تعلّقَ الأمرُ

بالجوهرة النادرة

بالطائر الأسطوري

بالحلَقة المفقودة

ما الذي ما زال يجمعنا؟

ربّما هذا السؤال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا غير

لِنعتَبِرْهُ مَكْسَبًا!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# في مديح الرّماديّ

الرَّماديّ

لَوْنٌ صادق

سليلُ

الأبيض والأسود

لذلك يُقرُّ بما يَدين به

لِكُلٍّ منهما

لكنّه لا ينحاز

لا لِذا ولا لذاك

الرّماديّ

لَوْنٌ كامل

كما يقال عن جودة

نوعٍ من الخبز

ذاك الخبز

الذي لا تخلو منه مائدتي أبدًا

الرّماديّ صاحِ

لا يتباهى

ولا يجرِّبُ حظّه في الإغواء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلى طريقته

يلمع بِألقٍ

يكتسبه الضوء

عندما يسْعى

إلى خرق دِرْعِ الظلمات

الرّماديّ ليس حسودًا

يتنازل طوعًا عن مكانه

لعناصر قوس قزح

المُتلهّفة للّهْوِ المعربد

على الأرض

وفي السماء

أو في أحشاء اللّوحة

الرّمادي دَرْبٌ

بمَعالِمَ مُذْهِلة

في متاهة

الوَغْي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# موسيقيّ

يراوِدني حُلْمٌ

أراني فيه موسيقيًّا

موسيقيًّا كبيرًا

لكن فقط في مُخيّلَتي

أسَيِّرُ أوركسترا

داخليّةً ـ غيرَ مرئيّةٍ

أغارُ على فنّي

حتّى لَأنّي لا أقتسمه

إلّا مع زُمرة من الأقرباء

خلال اجتماعات سرّية

أُكَرِّسُ له حياتي

وأتخلّى في سبيله عن الأكل

والشَّرب

والجِماع

وعبادة الأفكار

أيْ نَعَمْ، موسيقيّ قحٌّ

تخفَّفَ من أغلال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيرته الصغيرة

ممّا كان عليه من جسد وروح

ويكون قد التحق بدوائر

كَوْنٍ لم يُخْلَقْ بَعْد

وقد يكون كذلك يومًا ما

عندما تعلو الموسيقى

على الطُّغيان الصاخب

للهَباء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# عريّ

عارٍ

أقول إنّي بحق عارٍ

الّذين يسمعونني

مرتابون

يعتقدون أنّها مُزْحة

ومقلب آخر من المقالب

استفزاز مجّاني

أكرِّر أنّي عارٍ

بحق عارٍ

لكن لم يعد يسمعني أحد

في حين يُحتَفى

بفضائلي العديدة

ومن بينها

سُخْريّتي السوداء

في انتظار دخول

النائحات إلى الحلبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# غيثة

غيثة (2) جالسة

بجانبي

لابسةً قفطانًا فاخرًا

مُتَطَيِّبَةً ومُتَزَيِّنَة

الفضاء الذي نقْتَعِدُهُ

لا ينتمي

للعالم المادّي

نقتسم المقعد نفسه

داخل فقاعة ساكنة

ليست شفّافة إلا في أعيننا

غيثة تضع على رأسي

يدها الكادحة الخشنة

وتحميني بصَوْتها

تَرُجُّ قارورة

وتَرُشُّ على وجهي

ماء زَهْرِ النارنْج

كلمات صَلاتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي تبدو سِخرية

تُثقل جفنيَّ

أنا وغيثة

من منّا يفكر في الثّاني أكثر؟

اليوم

تجلس بجانبي

وها أَنَذا

كما في العديد من الأيام

أفتح أمام عينيها

كتاب الأزل

لكي أتقاسم معها

بعضًا من صفحاته

وأنا أَغُضُّ الطرف

دون أن تنتبه هي لذلك

عن التكرارات المُتعدِّدة

والمقاطع الأكثر عَهْرًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# بَخز

البحر

كيف أستطيع تأمُّل البحر

ومِنْ هوائه المُنعِش

أملأ رئتيَّ

وأمام عَظَمَتِهِ

أنحني بإكبار؟

البحر

كيف نُفْتَتَنُ به

ويُجَيِّشُ مشاعرنا

حتّى البكاء؟

«البحر، البحر، البحر

المُعادُ على الدّوام»

من أجل مَنْ؟

ليس من أجل اليائسين

القادمين من أركان الجحيم الأربعة

الشَّعْبُ الجديد

الناجي من أضقاع الموت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتيه، يلتقي ببعضه ويتجمَّع

ليقرّر

مسيراً قسْريّاً جديدًا

تيهاً جديداً

هذا الشعب الجديد

الّذي لا هوية له

سوى... التحَمُّل

البحر

كما اليابسة

بَطْنٌ حَفِيَّة

ومقبرة

حذار من العاصفة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# شعاع شمس

شعاع شمسٍ

شاحِبٌ

خجولٌ

يداعب خِلْسَةً

قضبانَ نافذتي

كأنّي بِهِ يحاول

أن يقدِّمَ لي

اعتذاراته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# قَلْب

القلب على أحسن ما يرام

حسب ما بلغني

من مصدر مأذون

لقد سُمِحَ لي بالإنصات إليه

وهو يخفق أسرع من ساعة

ويَغُطُّ كَنائم

مسدود الأنف

ليس ثمة ما يُطَمْئِن

لا أحد يعرف هذا الحيوان

أحسن منّي:

بالغ الرّقة

ويغالي في التّهوُّر

ليستمر في مُداراة

كل ضربات القَدَرِ الغاشِمة

الحقيقة أنّي

أرتاب أنه يريد

أن يغدُرَ بي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويتخلّى عنّي

يومًا ما

لكن لا بأس

قد أكون مخطئًا

بما أن نُبُوَّتي لا تقوم

إلّا في أمور نادرة

لم يعد أحد

يُقبِلُ عليها اليوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# وَجْه

وجهٌ مشطور إلى نصفين

نصف ذكوريّ

ونصف أنثويّ

جانبٌ ضاحكٌ

وجانب باكٍ

طلعةُ طفل

وقَفا شيخ

قسطٌ شهواني

شيطانيّ

وقِسْطٌ صارم

متزَمِّت

عينٌ حامية

وعينٌ مقرورة

شفةٌ تَعُضّ

وشفة تُعَضّ

مَنْخَرُ عصفور جافل

منخرُ عصفور ساكن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجه مشطور إلى نصفين

حيّ!

إلى أن يعيد المَوْتُ

رَتْقَهُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# أواخِر يناير

ليس كلّ شيء قاتِمًا

لَمْ يَضِعْ كلّ شيء

عاد العَمُّ سام إلى رُشْدِه

ووجهه الإنسانيّ

ماغنوليا الجار

بدأت تُبَرْعِمُ

رغم قساوة المرحلة

معشوقتي في صحّة جيّدة

حفيدتي (اثنتا عشرة سنة)

تكتشفُ مباهج الرّسم

إسبانيا وبعدها البرتغال

قَنّنا الموتَ الرّحيم

النِّساء الأرجنتينيّات

انْتَزَعْنَ بعْد لَأْيٍ

الحقَّ في الإجهاض

وبعد عشر سنوات

فإن ربيعًا عربيًّا جديدًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لَيْسَ مُسْتَبْعَدًا

وأنا

أنام أفْضَل من ذي قبل

ولم أعد أعاني وَجَعَ الكتابة

بَصيصُ الضوء في نهاية النّفق

ظلَّ حاضرًا على الدّوام

لكنّا لم نَكُنْ مستعدّين لرؤيته

يجب القول أيضًا

إن بَصَرَنا ما فَتِئَ يضعف

في الآونة الأخيرة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# وَقاحةُ الشّيخوخة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# تَمَرُّد

هذا التمرّد

لِنَقُلْ ذلك دون حَرَجٍ

«تمرُّدي» الخاصّ

من طينَةِ

ما يأتي معنا

منذ الولادة

ما من شيء

وما من أَحَدٍ

يَقْوى على إخماد

جَمْرته

بما في ذلك الموت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لَوْ بِمُعجِزَة

لَوْ بمعجزةٍ

عَنَّ لِمَلِكٍ

أن يُعانق العدل

فَعَلَيْهِ

أن يَخْفِضَ بصره

ويجثو على ركبتيه

أمام

الشّاعر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مُخاطَبين

أشجاري الأليفةُ

تَفْهَمُني

حين أَتَحَدَّثُ إليها

لأنّها تُصغي إلَيَّ

بانتباه

يُحاكي الحبّ

عكس

أقارب كُثُر

من أَشْباهي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مُستَوْحِشون!

ليس هناك أكثر تَوَحُّشًا

من أصحاب النَّياشين

والمُتشدّقين

والرؤوس العَفِنَة

والقلوب الجافّة

القادرين على قتل

الأب والأمّ

الأخ والأخت

من أجل الجاه

السُّلْطَة

والمال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# احتقار

أجَلْ

يمكن أن أكِنَّ الاحتقار

ـ هذا الشعور المَقيت ـ

لِأشباه إخواننا في الإنسانية

الذين لا يتورّعون

عن ارتكاب أيّ فظاعة

لكنّي لا أَكِنُّ إلّا الاحترام

للحيوانات!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لَعْنَةُ الجِنس

المصالحة بين الرجال والنساء

لن تتِمَّ عاجلًا

ولا حتّى آجِلًا

لا يمكن الاعتماد

إلاّ على قِلّة من الرجال

والقِلّة من النساء

الذين يمشون

على هامش القطيع

يدًا في يدٍ

بوصَلَتُهم

الحُبّ

الوحيد

الأوحد

المتحرِّر من لعنة

الجِنس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# بَسْمَة

هنا، في هذه اللحظة

أنْظُرُ

بعين أخرى

إلى صورتَيْ

أمي وأبي

المعلَّقتين على الجدار المقابل

عجبي!

قُلْتُ في نفسي

هذان المُشاغِبان

استَمتَعا بمَرَحٍ

لكي أخرج إلى الوجود

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# بَعْدَ الحياة

بعد الحياة

ليس هناك مِنْ شيء

لا شيء على الإطلاق

وهذا يَسْتَعْصي على الفهم

لا يقبلُه العقل

ومُرْعِبٌ أحيانًا

لكنّنا نتعوّدُ عليه أفضَل

حين نقوم يوميًّا

ببعض تمارين اللّايَقين

وتكريس العقل

دون أن ننقطع

عن قضم الحياة

بنَهَمٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# تذكير بالواقع

في كابوس أمس

عاد

الجلّادون

كانوا مفتولي العضلات

هذه المرّة

ولم يكن لهم الوجه نفسه

يبدو أنّهم غيّروا سيناريو

عَذابي

عمّا كان عليه قبل خمسين سنة:

بَهيميَّة بدَنيّة أقلّ

مقابل عنف نفسيّ لا يُحْتَمَل

كانوا يبدون جاهلين كل شيء عَنّي

والظّاهِرُ أنهم مُنِحوا

كامل الصلاحيات

من لَدُنِ أعلى السلطات

في»أجمل بلد في العالم«

لِكَنّي... ينتزعوأ روحي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شكرًا

يا «بلدي العزيز»

لهذا التّذكير

بالواقع!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# اعتراف

تقِلُّ ممتلكاتي

شيئًا فشيئًا

أتنازل وأتخفَّف

وفي محيطي

أستودع أشياء وأَهَبُ أخرى

لم أعد أتَبضّعُ

إلاّ لِأقْتات

وأقتني القليل من الملابس

في شقّ الطمع

أصبحتُ بريئًا تمامًا

أمَّا الغيرة

فَغَدَتْ من أساطير الأوَّلين...

لو كنت مكانكم

ما صدَّقْتُ بسذاجة

هذا التحوُّل إلى الزُّهد

هذا الانبعاث الخَيّر

للبراءة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# استعمال الزّمن

أمْضي

نصف وقتي

في الردّ على رسائل

وعلى استمارات

وفي مَنْحأُذونٍ

والقيام بالعمل اللّامرئي

لناشِرٍ شَبَح

وفي توقيع عرائض

إن لم أدبِّجها مسبقًا

وفي حَشْوِ رأسي بأخبارٍ

لا أني أَفْضَحُ خَواءها

وماذا عن النّصف الآخر؟

إذا تغاضينا عن المواعيد الطبيّة

و«الاستكشافات» النّاجمة عن ذلك

وساعات النوم المقلّصة إلى حدّ ما

والحاجات المبتذلة

والأعباء العادية لـ«ربّ بَيْتٍ »

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فماذا يفضُل؟

يَفُضُلُ ما هو أساس

ما هو حيويّ

السّوَيْعات القليلة للكتابة

والقراءة

والهُنَيْهات المُذهِلة

لِأَحاديثِ

وحركاتِ

الحبّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# ثلْجٌ

ثَلْجٌ، ثَلْجٌ، ثَلْج...

أحاول أن أكتب قصيدة

عن الثّلج

على مِنْوالِ قصيدة بدر شاكر السيّاب

التي تتغنّى بالمطر

أتَذكرون:

«مَطَرٌ

مَطَرٌ

مَطَرْ»!

أَكِدُّ

أَبْذُلُ قصارى جهدي

لكن دون جدوى

السحْرُ لم يَحُلّ

ومُحاولتي

المحمودة على الأرجح

لن تَخْلُدَ بعدي

في ذاكرة الخَلَفِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مَزامير الصّيت

في جميع الفنون

ثَمَّةَ أعمال تُعَدُّ

من دون نقاش

تُحَفًا

والقول بغير ذلك لا يُتَصَوَّر

وسيكون ضربًا من الجَهْلِ

إن لم يَكُنْ غباءً

وهذا يَسْري على الجوكندا

التي لم أفقد صوابي أبدًا

لمجرَّد مشاهدتها

وعلى «البحث عن الزّمن الضّائع»

الذي حاولتُ قراءتَه عشرين مرّة

وكان يسقط دائمًا من بين يديّ

وبعض أعمال الأوبرا الكبيرة

التي تأبى كلماتها السّاذجة

إلّا أن تُنَغِّصَ عليّ

لذّة موسيقاها الإلهية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد أعدْتُ النّظر في كثير من مآثِر

الفنّ والفكر

والآن أشعر أنّي حُرّ

في رغباتي

أُسلِمُ قيادي لغريزتي

وافتتاني بالمجهول

وضدّ التيار

أتعلَّم

وأتَزَوّد

وأُفْتَتَنُ

صامًّا أذُنَيَّ

عن «مزامير الصّيت»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# لايكا

كان اسمُها لايكا

كلبةُ حياتي

يرجع ذلك لزمن بعيد

كانت من نسلٍ هجين

يغلب عليه عِرْقُ كِلاب البيكينوا

أهداها إليّ أحد أصدقاء الطفولة

كثيرًا ما كنتُ أبقى معها وحيدًا

في البيت

لم تكن عيناها تَبْرَحاني

في أوقات الكتابة

أُقْبَلُ منها

ما لم أكن لِأتحمَّله

لَوْ صَدَرَ عن إنسان

أحيانًا

أشعر أنَّها تقود قلمي

تُبدي اعْتِراضًا

أو تَكْتُم ضحكةً

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأحيانًا كنت أقرأ في نظراتها

إعجابًا لا حدَّ له

يقابِلُهُ

خَجَلي

وبما أنّني لم أفكّر في ذلك من قبل

أتساءل اليوم

بشأن بعض النصوص

التي كُتِبَتْ آنذاك

عن حِصَّتِها هي من الرؤيا

وحِصَّتي أنا من الإلهام

وكتابتي، ماذا فَقَدَتْ

مُذْ رَحَلَتْ

لايْكا؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# تَحليل

إنّي أُشفِقُ على المحلِّل النفسيّ

الذي سيُغامِرُ ويتتبَّع حالتي

قد يحتاج إلى أكثر من صبر أيّوب

لِيُنْصِتَ إلَيَّ وأنا أقرأ

الثلاثين مُجَلَّدًا وَنَيِّف

من أعمالي الأدبيّة:

شَرْطٌ مُسبق سأضَعُهُ

لكُلّ انخراط من جانبي

في مغامرة علاج

قد تُكَلِّفُني

أموالًا طائلة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مَنُّ الصَّباح

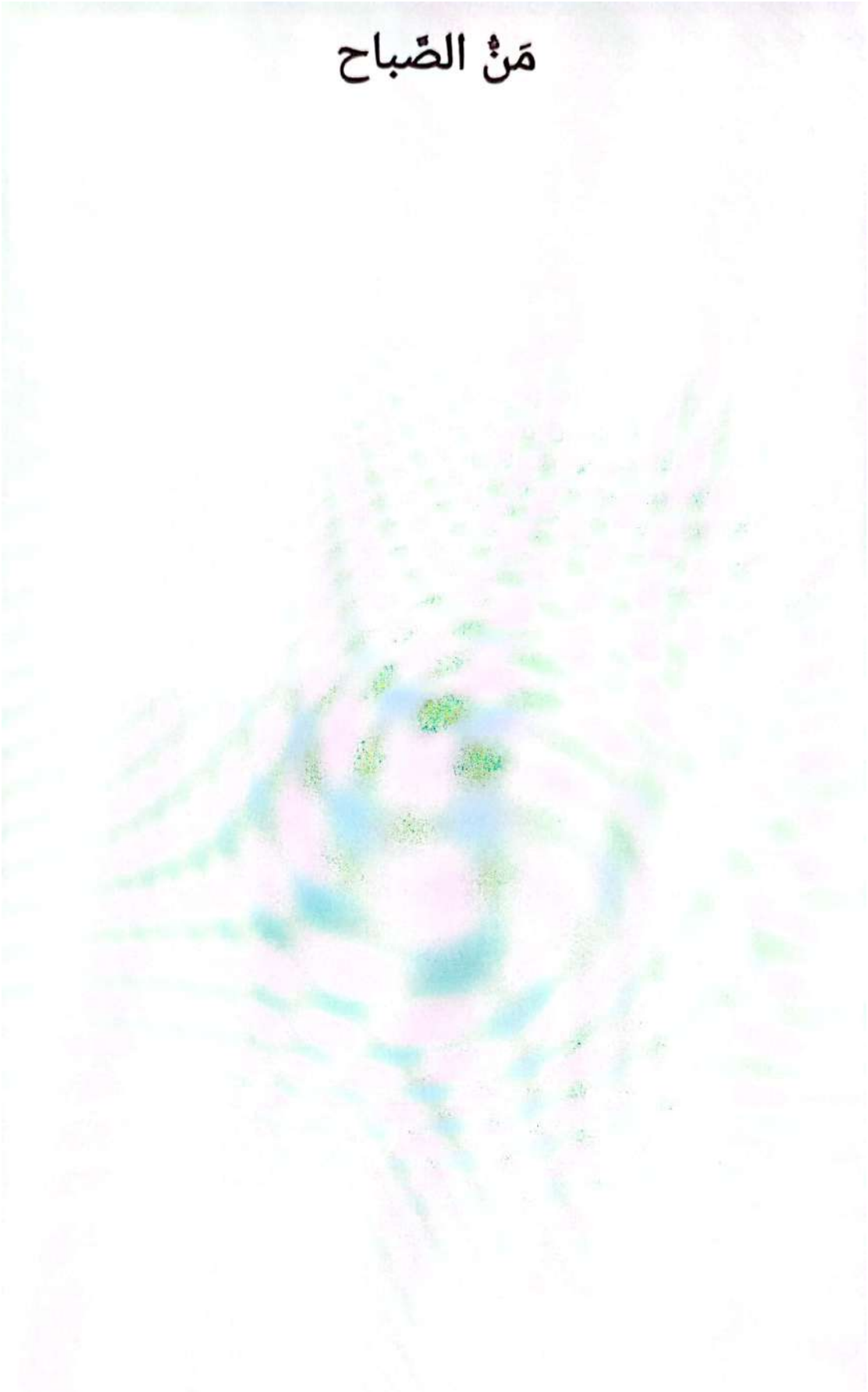

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الرّفيع والدّنيء

يوم أمس

الثامن عشر من فبراير2021

على الساعة التاسعة وخمس وخمسين دقيقة

بعد سبعة أشهر من الإبحار في الفضاء

حطَّ الروبوت بيرسيفيرانس

على سطح كوكب المرّيخ

بينما الفيلم الأخير

للمُخرجة السعوديّة

هيفاء المنصور

يُبَثُّ على شاشة التلفزيون

وفي المَشْفى الذي تشتغل فيه البطلة

(وهي طبيبة مؤهَّلة)

ثَمَّة عجوز على حافَّة الموت

يرفض بشراسة

أن تَكشف عليه

لمجرَّد أنَّها...

امْرَأة!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# ليس هناك انبعاث

رأيتُ

أعدادًا من النّاس

يموتون من حولي

لكنّي لم أشهد قَطّ

أيّ

انبعاث!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# التَّخييلُ الكَبير

العالَم:

الحياة التي تسري فيه مُذْ كانَ عالَمًا

الأفكار التي تتصارع فيه

الأمراض التي تنْخُره

الجرائم التي تُرْتَكَبُ فيه

الثروات التي تُراكَم فيه

البؤس الذي يستفْحِلُ فيه

الغراميات التي تتفتَّح فيه

وتَذْبُل

الحكايات التي تُرْوى فيه

عن ظهوره واختفائه

الكوارث التي تُدَمِّره

الأوبئة التي تصيبه بالجنون

حضاراته الآفلة

وفُنونها الحيَّة

العالَم

منذ أن كان عالَمًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تخييل كبير

يعكف على كتابته

مؤلِّفٌ عبقريّ

مجهولٌ تمامًا

مُعدَمٌ

فوضويّ كريم

لمُخاتلة الجوع

والبردِ

والمَوت

الذي يشتدُّ طَرْقُهُ

على باب

قَبْوِهِ الضيّق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# شوِيّه

شوِيّه من ذا أو من ذاك

يُريح النفس

شوِيّه من السعادة

تكفي بِضْعُ دقائق

ولا يَهُمُّ إن كرَّرْنا كلّ مرّة

إحدى أكثر التفاهات ضحالةً:

«الحياة جميلة»!

شوِيّه من الأمل

بعد مُضِيّ الويْلات

وغَدا الابتسام من جديدٍ مُباحًا

آه! يا لِلْبصيص الضّئيل

الوَعْد

الذي طال انتظارُه

شوِيّه من العافية

عندما يَخلو للألم

أن يكون سَمحًا

والجسد يتفتَّق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويفيض نُسغًا

مثل شجرةٍ في أواسط الربيع

شوِيّه من الصداقة

وكتفها السانحة

لدرجة أننا لا نشعر بالحاجة

إلى أن نضع عليها رؤوسنا

وعنايتها الرفيعة

لدرجة أنَها تَبُثُّ الحيرة

شوِيّه من الشِّعر

في الحُبّ

وهذا لا جدال فيه

حركات وكلمات مناسبة

غمزات بالكاد تُدرَك

سخرية بِلَذْعٍ أخفّ

لحظات صَمْتٍ مُفعَمة بالشهوانية

شوِيّه من الرِّفْق

لأنه يسعد الآخر

لا أحكام ولا إدانة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قبل الفهم

مدُّ اليد

دون التفكير مُسْبَقًا في الشرّ

أو الخير

أكثر من شوِيّه من السُّخْط

سواء أَهَبَّتْ ريحٌ أم سقط مَطَر

سواء أَتَساقَطَ الثّلج أم أشرقت الشمس

لأن الظلم لا ينقطع

ويُضْني على الدوام

ودومًا لا يُحْتَمَل

شوِيّه من الاندهاش

أمام قِيَمِ الجمال المؤكَّدَة:

وجه المرأة المَجيد

من دون قناع

وحتى بقناع

نظرة الطفل الحامية

التي تغوص بعيدًا فينا

فجرٌ يُولَد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يسْهرُ على صحراء

مسْكونةٍ بذكرى البحر

شْوِيّه من ذا أو من ذاك

على وجه الاختيار

رقمٌ رابحٌ

بعد كل هذه الخَيْبات

التي نتعوَّد عليها

كما نتعوّد على أخبار اليوم غير السّارّة

المتوقّعة مثل الضباب

والتساقطات

في الجزر البريطانية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# سُوءُ فَهم

لم يعُد أيُّ عصفور

يأتي ليزورني

وهو يحُطُّ على حافَّة

نافذتي

أيُّ ذنب اقْتَرَفْتُ؟

ألّا أُغَنّي

كما كنتُ أفعل غالبًا

في السنوات الماضية

بمفردي

أو بحضور مَعْشوقتي

ألّا أبتسم ببلاهة

وأنفجر ضاحكًا بلا سبب

أن أحبس دموعي

عندما يكون ذرفها

قَدْ يُزيح عن صدري

عِبْئًا ثقيلًا؟

لا تُسيئوا الظّنّ بي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحِبَّتي العصافير

فأنا لم أتغيَّر

لدرجة إهمال

ما يجعلُنا

لا نفترق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الحُبُّ أَو لا شيء

هل ثمَّةَ حياةٌ

قبل الحُبّ؟

هل ثمَّةَ حياةٌ

بَعْدَ الحُبّ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# مَكْتوب

النّصّ

الّذي سيُسَوِّدُ ورقتي

هذا الصّباح

انْكَتَبَ مُسْبَقًا

في ذِهْني

على شاكِلَتِهِ النِّهائيّة تقريبًا

فَفيمَ يختلف ذلك

عن «المكتوب»

في مُعتقد دينيّ معيَّن؟

الفرق يكمن في أنّني

أمتلك سلطة

مَحْوِهِ في الحال

والانكبابِ على تعويضه

بآخر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الدّم

الدّم

الّذي يسري في عروقي

وعَرَضًا يَنزُّ من جروحي

هل يمكن تحديد تركيبه؟

ما استَخْلَصْتُهُ من بعض التحرّيات

والخُلاصات السَّريريّة

التي أخضعتُ نفسي لها

هو أنّه

في جميع الأحوال

«دَمٌ مَشوب»

دمٌ إنسانيّ لا غير!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# هُويّة

أنا أبْيَض

وغالبًا ما أشعر أنّي أسْوَد

أنا عربيّ

وأعرف أنّي

على نحوٍ ما

أمازيغيٌّ

أنا مناصر للفلسطينيّين

وأَحيانًا أشعر وكأنّي

يهوديّ

أنا غير مُتَديّن

إلّا أنّ رَجُلَ الدِّين

الّذي تُؤثّر فيّ رسالتُهُ أكثر

هو المَصْلُوب

أنا مغربيّ، فرنسيّ

لبنانيّ، أرجنتينيّ

جنوب إفريقيّ، سوريّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هايتيّ، روهينغيّ

ولكن هناك سرّ لا يخفى على أحد

هو شعوري في دُخَيْلاتي

بأنَّني

لا أقول إسبانيّا

بل أندلسيًّا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# تَقادُم

يجب أن نُسَلِّمَ بِأنّه

ليس هناك أبدًا

عَوْدٌ على بدء في الشِّعْر

فما هذا الّذي يوجَدُ فيه

ولا يَنْضُب؟

في الشِّعر أو في مَنْ يتشبَّث بِه

لأنَّ الشعر لا يَتَخَلّى عنه؟

لا، من الواضح

أن نقطةَ النِّهاية

مُجَرَّدُ مُواضَعَة طِباعِيَّة

مَآلُها أَنْ تُهْجَر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# رُباعِيّات

هَلُمُّواْ لِتَطَأواْ دائرة الرّقص المقدَّسة

سَيَصَّعَّدُ طَعْمُ العِنَبِ إلى أفواهكم

سَتُوَشَّحُ أذرعكم بنجومٍ وَليدةٍ

سَيمْحو نَفَسُ الزَّمنِ الخفيفُ تجاعيدكم

ستكون الغاية جبلًا لامرئيًّا

على الأرض، في البحر، في مكان ما في السماء؟

نورُهُ ضاع إلى الأبد

خُذوا الفوانيس والأزاميل والأقلام

تَدَثَّرواْ بحَريرٍ خام وصوف طبيعيّ

سيرواْ على وثيرة أَكْثَرِكُمْ بُطْئًا

الذّاهلين، المعوَّقين، المُنْصِتينَ لِلنَّدى

وعند بزوغ النّهار قِفواْ واغْمِضواْ أَعْيُنَكُمْ

سَتَعْبُرونَ المفازات السّبع اللّازمة

ستمرّون بمحاذاة مقبرة الأسئلة الشّاسعة

ستتجاوزون مَهْواة الرّوح السّحيقة

ستهَبُون صدوركم للصّاعقة الكاشفة

ستكونون فُرادى أو مَثْنى أو زَرافات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لن تتجاوزوا إلّا في أقصى حالات الشّكّ

في لغة الجوع والعطش

مُرْسِلين أذرعكم على طول الجسد

لا شيء سيوقف سِباقكم المحموم

ستديرون ظهركم لِسَدّ اللّانهائي

لِتَنانين التّاريخ المُتأهِّبة دَوْمًا للنّزال

للخرائب الّتي أنشأتموها بإتقان

لن يُتاحَ لكم أيُّ ملجأ أمين

ستكونون، طوعًا أو كَرْهًا، مَلْجأَ أنفُسِكم

سيكون عليكم أن تَبْتَكِروا الدَّرْبَ والمَعْبَرَ

الغابةَ المُعيلَة والخبزَ الوفير والنبيذَ الذي يَرْويه

لحِفظ نُسْغِ الذّاكرة وعُصاراتها

سَتُقَطِّرونَ مضادّ النسيان الشافي

ستدهنون بالمرهم نَفْسِهِ نهودَكُمْ وحَلَماتكم

وتُحرّرونَ بذلك في حناجركم صوتًا ملائكيًا خفيفًا

ستموتون كلّ ليلة وتنبعثون كلّ صباح

سيكون لكم الخيار بين الصلاة والنكاح في عِزّ النهار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لن يكون عليكم أن تُعانوا من القرّ والقيظ

ولا من الاحتقار، الكره والخيانات التي تجرح مَدى الحياة

ستنزعون عنكم الثياب وأغطية الرأس وتبقون حُفاةً

سَتُعَرِّضون جُلودَكم لِمِرْجَلِ النُّجوم المقلوب

ستكشفون عمّا خَفِيَ من جمالية أعضائكم الحميمية

ستدَعون شِفاهكم تَتبَلّلُ بالرّضاب العاشق

لن تكون لكم هويّة سوى تلك المدوّنة في عيونكم

عندما تصعد دمعة وتطفق تبلّلُها

لن تفقد وجوهُكم بالكامل تقاسيمها الإنسانية

لكنّها ستكون قد استعارت من عبّاد الشمس اشتهاءه للشمس

ستحبّون «البعيد» أكثر من «القريب»

إنْ كنتم بيضًا، ستكتشفون ضوء الأسود اللّايُضاهى

إنْ كنتم سُودًا، ستبحثون في الأبيض عن منبع الألوان

للغريب، ستمنحون المأوى والغطاء والإصغاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لن تكون هِجرَتُكُم اقتلاعًا

نكرانًا لِما كان ولم يعد قابلًا للعيش

ليس لكم أن تمدّوا صَحْنَ تَسَوُّلِكُمْ

لجحافل العميان العازفين عن إنْشادِكُم

ستكتشفون صَمْتًا لم تتَذَوَّقوه من قبل

جوهَرًا يُغذّيه سلامُكم الدّاخليّ

فماذا تريدون أكثر من ذلك: الحياة الأبديّة؟

أُفٍّ من ذلك الضَّجر! النهايات ليست دائمًا مُغلَقة

لَبِسْتُمْ ثوب العيش من دون أنْ تُسْتَشاروا

وستَرْحَلون من دون أن تستأذِنوا أحدًا

اكتشافكم الأكبر كان النجمة التي ترضّعُ القلب

والتي أطْلقتُم عليها اسم «الحرية» الجميل

أكيدٌ أنّكُم الآن ستذهبون بعيدًا

أنتم المتمرّسين بِرِحْلات سندباد وعوليس

بالصيغ المتعدّدة للجحيم والجنّة

بالتحوّلات العجائبيّة التي تمنحها مُعتَقدات أخرى

سيأتي زمن تستعيدون فيه جِدَّتَكُمْ

وسَيَخذو الكون حَذْوَكُمْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ستكون هناك صيغة منقّحة وأكثر مصداقيةً

للانفجار العظيم المُؤَسِّس

وسيناريو أكثر ابتكارًا للتّكوين

ستحتفظون من الإنسانية ببعض الصفات الأكيدة

وتأخذون من الوحيش والنبيت والمياه الأصلية

فضائل أخرى خامرَتْ فقط خيالكم

وسيصبح «فكر» العديد من العناصر الطبيعية أليفًا لديكم

سَيَنْفَتِحُ طريقٌ لاختيارات لم تكن لديكم قطّ

لرغبات كَبَتُّموها بنذالة

وسيتقوّى جسدكم وروحكم كِفايَةً

لاستقبال رعود الحُبّ النافِعة على الدوام

جيلًا بعد جيل ستقتربون من الاكتمال

وتفلحون فينزع السمّ من أفعى الموت

ستعرف فنونكم وآدابكم نهضة مجيدة

يمكن تصوُّرُ وُعودِها من دون عناء

كان ذلك استراحة لِطَرْدِ الشؤم

وتخلِية الكابوس والتمكّن من تبديده

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والانطلاق في الحياة المُبتَكَرة التي غَنِمتُموها

بقوة قبضة اليد وبـ «عَرَقِ الرّوح»

لقد فَتَحْتُمْ كتابًا بِمُجَرَّدِ ما انْطَوى سابقُه

ووَجَبَ على المغامرة أن تستمرّ وتوصِلَ الرِّسالة

هذا ما قرَّره الخيال

هذا المتمرِّد الجامح الذي طالما تَحَدَّى التاريخ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الشِّعرُ لا يُهزَمْ

أستطيع أن أشهَدَ

الشِّعرُ لا يهزَم

أنا واثقٌ من ذلك

لقد شاهدتُهُ

وتحققتُ مِنْهُ

ألف مرّة

لا شيء يوقِفُهُ

لا فظاظة البشر

ولا ضراوة الآلهة

لا تبجُّحُ الأقوياء

ولا أحكام الموت غير القابلة للنّقض

مِن الإنسان إلى إنسانيّته

الشعر أقرَبُ الطُّرق

وأسلَمُها

مِن الجنون إلى الحِكمة

والعكس بالعكس

يَهَبُ السَّفَرَ

والاكتشاف برفقة دليل

الشِّعر أنوفٌ

أمامَ أُغتى الزّوابع

لا يَنْحَني

ولا ينكسر

إنَّهُ وَقِحٌ

مُتمرِّدٌ

شَرِسٌ

مُغالٍ

عاصٍ على الدوام

يسمِّي الأشياء بِمُسَمَّياتها

يُجيزُ ما لا يجوز

لا أخلاقيٌّ؟ مُنْعَدِمُ الأخلاق؟

إنَّهُ لا يُعير اهتمامًا للقيل والقال

في حدائقه المعلَّقة

يُغْنى الشِّعْرُ

بالسّهو

بالتّمَهُّل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالرعشة التي تسبق النظرة

التي تسبق اللّمسة

إنه يستَكْشِفُ

الحاسّة السّادسة

ثُمَّ السّابعة

فالثّامنة...

الشِّعْر يروي الظّمأ

يُطَهِّرُ العيون

يفتح الآذان

يمنح اللسان عُذوبَة

يعطِّر الفم

وحين يَمْتَلِئُ البطن

يقول للرّأس:

غَنِّ!

الشعر أضلُ الفنون

عليمٌ بالبدايات

وعَن الآتي

باتَث له ذكريات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعر

تارةً يكون بَلْسَمًا

وتارةً مؤلِمًا

وقد يكون مُريحًا

في إيلامِه

الشعر يحارِبُ على كُلِّ الجبهات

مُتَواضِعٌ يَوْمَ النّصر

هادئٌ عند الهزيمة

ومن الضَّرّاء يتعَلَّمُ

أكثر من السَّرّاء

الشعر لا يَنْسى

ولا يَنْخَدِعُ

بِحِيَلِ الذاكرة

هو آخِر مَعْقِلٍ

للوفاء

بين الأحياء والأموات

لا يُفاضِلُ الشعر

فهو يواظب على مصادقة

هؤلاء وأولئك

بَيْنَهُم

يكون رسولًا

وعند الحاجة

نَصوحًا

الشعر يَسيرُ

وَسَطَ جَحافِلِ المهاجرين

في الثلج

والقيظ

وفي البحر الهائج

وعبر حواجز الأسلاك الشائكة

وتحت تهديد الكِلاب المُدَرَّبَة

يُمْسِكُ سِجِلَّ أسماء

مَنْ يسقُطون

في الطريق

والمختفين

والمنتحرين

يَلْتَقِطُ شهادة

مَنْ يواصلون المسير

وقد جُنّوا من الألم

ونَخَرَهُم اليأس

الشعر يَذْرَعُ

مخيَّمات اللّاجئين

أينما كانتْ

تحت المطر

في الوحل

وسط الزوابع الرّملية

وأَكْداس النُّفايات

هَمُّهُ يَنْصَبُّ

أوَّلًا على الأطفال

على عيون الأطفال

وأحيانًا على البسمة

التي تُنير بأعجوبة

وَجْهًا ما

ما يَراهُ

يُصيبُهُ بالخَرَس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبقى أُخْرَس زمنًا

بعدَ مغادرته

أماكن الجريمة

التي يقترِفُها

الجنس البشريّ

في حقّ نفسه

وبعد الذّهول

والغيظ

والاشمئزاز

والخِزْي

ينتهي به الأمر دائمًا

إلى أن يتكلّم

فيُصْدِر اتّهاماته

شاهِرًا أدِلّتهُ

ويَنْثُرُ لَغناتِهِ بسخاء

ويصرخ حتّى تنفجر رئتاه

ثُمَّ

وهو على حافة الإغماء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجثو على رُكْبتيه

ويمسح دمعةً

ثُمَّ يصَلّي... ويصَلّي

بِلِسانه المقدَّس

الشعر

يَحْفَظُ عن ظهر قلب

خريطة السُّجون

ومراكز التعذيب السِّرّيّة

خَبِرَ عنابر السّجن

والأقبية

حيث روبوتات من لحم ودم

تَعْكِفُ لَيْلَ نَهار

على تحطيم

العُصاة

جسدًا وروحًا

الشعر يُؤانِسُ

كلَّ المصلوبين

في أقْسى لحظات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التنكيل

ساعة الاحتضار الحَرِجَة

وإن نَجَوْا بِأعجوبة

فهو أوّل

من يَزورهم

وأكيد أنه لا يأتي

خالِيَ الوِفاض

منذ زمن بعيد

هَجَرَ الشعرُ

القصور

وبلاطات الطّغاة

والمستبدّين المستنيرين

وما إليهم من دَجّالين

وزَهِد في عطاياهم

تَحاشاهُمْ تمامًا

حين الحُطُوَة ووَقْتِ زَوالِها

هكذا انْتَزَعَ

حُرّيتَهُ

أعزَّ ما يَمْلِكُ

وأجملَ أوْسِمَتِه

منذئِذٍ

لم يعد الشعر يُباع

أو يُشْتَرى

فإمّا أن يوهَب

أو لا يكون

عندما يَتِمُّ إنزال تمثال

طاغية دمويّ

أو نَخَّاسٍ جاحِدٍ

أو مجوِّع شعبٍ

ويَرْتَطِمُ أنفه بالأرض

فالشعر لا يُخفي

حُبورَهُ

الشعر يَسكُنُ

كلَّ واحد منّا

كلَّ حيوان

كلَّ نبات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كل حَجَر

كلّ حبّة رمل

الشعر يَسكن

كلّ قطرة ماء

كلّ شُعاع شمس

كلّ شيء شَكَّلَتْهُ

عناصرُ الطبيعة

أو يدُ الإنسان

أكيد

أنّ الشعر يَحْضُرُ

لحظة الولادة

والمَوْت

والكشف عن الحُبّ

وميثاق الصداقة

وتَجَلّي الجَمال

غير المُتوقّع

والمُحَيِّرِ على الدوام

الشعرُ نغمٌ داخليّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكلّ اللغات

العزْف المنفرد للنّاي

أو الكمان الجهير

للقانون أو البالافون

الشعر

هو العيد الباخوسيّ للكلمات

وشَرَهُها

يوقظ فيها بعضًا

من الخطايا السبع الشهيرة

وخطايا أخرى

اكْتُشِفَتْ بفضله

واقْتُرِفَتْ بالقدر نفسه

إن لم يكن أكثر

من التَّلَذُّذ

مِنْ كُلِّ شيءٍ حيّ

فوق الأرض كما في السماء

وأبْعَدَ من ذلك

في الكون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

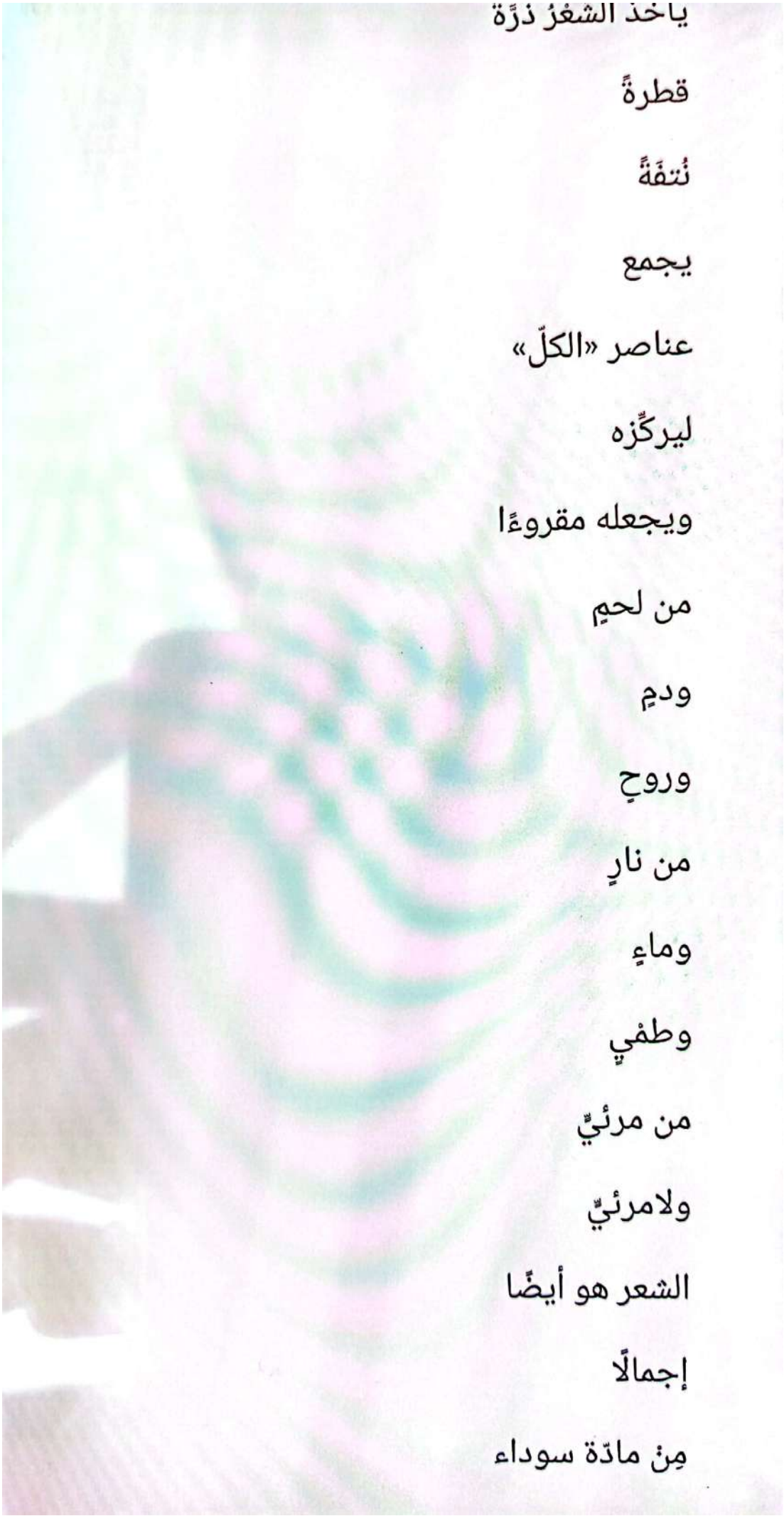

يأخذ الشعرُ ذرَّة

قطرةً

نُتفَةً

يجمع

عناصر «الكلّ»

ليركِّزه

ويجعله مقروءًا

من لحمٍ

ودمٍ

وروحٍ

من نارٍ

وماءٍ

وطمْيٍ

من مرئيٍّ

ولامرئيٍّ

الشعر هو أيضًا

إجمالًا

مِنْ مادّة سوداء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعر يخاطِبُ الأُذُن

والقلب

ويُجيدُ تشغيلَ

الصّمت

وعندما يصبح الشعر مُتَضَخِّمًا

لسوء حظٍّ

أو بسبب مَجْرى الزمن

فإنّه يَتْلَفُ

الشعر

هو إلى حدود اليوم

النّجاحُ الوحيد للخيمياء

و»إنجازُها العظيم»

إن صحَّ القول

مع هذا التدقيق

إنه يعمل في المَنْحَيَيْن:

من معدن عاديّ

يحصل على ذَهَبْ

والذّهب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي لا يُقَدّرُهُ كثيرًا

يُحَوِّلُهُ

إلى معدن بخس

الشّعر يَسْتَنْفِرُ

الحياة

وبَواعِثَها

الضرورية والكافية

ويشير بالاسْمِ

إلى أعدائها

وبائعيها في المزاد

وحفّاري قبْرها

الشعر لا يُخاتِل

لا يفاوِض

لا يتساهل

لا يفرّ من المعترك

ولا يتَخاذل

إنها مُجازفة

مجازفة كبيرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حين نريد تعريف الشعر

لكن ذلك يُغْري

بالمحاولة

ولَوْ تكَبَّدْنا خسائر

لِنَقْترِحْ ما يلي:

«الشعر

عهدٌ

نحفظه

مهما كَلّف»

كَمْ مِن الشُّعَراء هَزَمَتْهُم

الحياة والخِيانة

وخيْبات الحبّ

وسادِية الطّغاة

وتَواجُدهِم لسوء حظّهم

في البلد غير المناسب

والزَّمن غير المناسب

كَمْ مِن الشعراء رَحَلوا

دون أن يحْظوا قيد حياتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأدنى اعتراف

أو بتحقّق

ولو واحدٍ من أحلامهم المُنْصِفة

ما قد يمتُّ بِصِلَةٍ

من قريب أو من بعيد

للسّعادة

كَمْ من الشّهداء سقطوا من بينهم

لكي يصمد

الشعر

ولا يستسلم

وهو لم يستسلم أبدًا

إذن

فَلْنَصْدَعْ بذلك

عاليًا وبقُوةٍ

هنا وفي كلّ مكان

اليوم

وإلى أبَدِ الآبدين:

أَجَلْ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# الشِّعْرُ لا يُهْزَمُ!

(1) الأستاذ الفرنسي الذي اغتاله شابٌّ عند مدخل الثانوية التي كان يُدَرِّسُ فيها مادّة الفلسفة.

(2) اسم أُمّ الكاتب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner